

# الحياة العلمية في المدينة المنورة

(١١٤٣ - ١٣٣٧ هـ) (١٧٣٠ - ١٩١٩ م)

الجزء الأول



# الحياة العلمية في المدينة المنورة

(١١٤٣ - ١٣٣٧ هـ) (١٧٣٠ - ١٩١٩ م)

الجزء الأول

تهاني جميل سليم الحربي



وزارة الملك عبد العزيز  
KING ABDULAZIZ FOUNDATION  
FOR RESEARCH AND ARCHIVES



مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة  
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

ح) مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي، تهابي جميل

الحياة العلمية في المدينة المنورة ١١٤٣ - ١٣٣٧هـ - ١٧٣٠ -  
١٩١٩م. / تهابي جميل الحربي - المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ. ٢ مج.

٤٧٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤-٦-٩٠٧٢١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٧-٩٠٧٢١-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العلوم عند المسلمين. ٢- العلوم الشرعية

٣- المدينة المنورة - تاريخ أ. العنوان

ديوي ١٢٢، ٩٥٣ ١٤٣٨/٣٤١هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٤١هـ

ردمك: ٤-٦-٩٠٧٢١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٧-٩٠٧٢١-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أية هيئة دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.





## تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ المطلع على تاريخ الأمة الإسلامية الطويل يستقرُّ في يقينه ويُدرك أنه على الرغم مما يصيبها من ضعف أو تفرُّق فإنها أمةٌ تستمدُّ قوتها وتماسكها من وحي كتابها الكريم الذي استهلَّ نزوله على النبيِّ الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم بعبارة «اقرأ» التي تؤكِّد أنَّ نور المعرفة وشمس العلوم لا تغيب عن أفق هذه الأمة، وأن يكون العلم والبحث والتقصي عن الحقائق هدفاً لها تستعين به على تحقيق العبادة الصحيحة لخالق الكون، وعلى عمارة الأرض بالمحبة والسلام والتآلف بين بني البشر، وقد وعى الرَّعيل الأوَّل من سلف هذه الأمة هذه الحقيقة المؤكَّدة فحملوا مشاعل النور وقناديل الخير إلى أطراف الأرض قاصيها ودانيها مؤدِّين رسالة الإسلام الخالدة.

وعندما استقبلت طيبة الطيبة نبيَّ هذه الأمة ﷺ مهاجراً من مكة المكرمة بدينه ودعوته وثلة من صحابته، كانت على موعد لتكون عاصمة الإسلام الأولى، ومنطلق الدَّعوة القرآنية، ومنبر الإشعاع الحضاري الإسلامي من رحاب المسجد النبوي الشريف الذي تحوَّل إلى جامعة علمية ومؤسَّسة تعليمية شاملة، بُنيت على الوحي الإيماني، والهدي السماوي، وشُدَّت إليه الرِّحال طلباً للأجر ورغبةً في التفقُّه في الدين، فشهدت ساحاته الطاهرة

على مرّ العصور المتعاقبة حلقات متراصةً من طالبي العلم القادمين من بقاع العالم الإسلامي تحذوهم الرّغبةُ في الاستزادة من ميراث النبوة. ويؤرّخ هذا الكتاب الذي نقدّم له للحياة العلمية في المدينة المنورة في المدّة من (١١٤٣-١٣٣٧هـ / ١٧٣٠-١٩١٩م) موضحاً العوامل التي أدّت إلى ازدهارها نتيجة عناية الدّولة العُثمانية بها، وبُروز عدد من الأسر العلمية فيها، كما يُشير إلى مواضع التعليم فيها في تلك المدّة، التي تنوّعت ما بين المسجد النبوي الشريف والمدارس الوقفية ومجالس العلم في دور العلماء وغيرها، مفصّلاً الحديث عن النشاط العلمي لهذه المؤسسات التعليميّة.

كما يتناول الكتاب نُظم التعليم ومسيرته وسُبل الإنفاق عليه وطرائق التدريس في المدينة المنورة في تلك المدّة، موضحاً النتاج العلمي لعلمائها، مبرزاً مصنّفاتهم العلمية في العلوم المختلفة مع بيان أثرهم في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلاميّة.

وقد رأى مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة نشر هذا الكتاب لأهمية موضوعه لإلقاءه الضوء على تاريخ الحياة العلمية في هذا المكان الطاهر في مرحلة زمنية من تاريخ الأمة الإسلاميّة، ولتوضيحه جوانب مهمّة من المسيرة العلمية فيها في تلك المدّة التي درسها، مؤمّلين أن يكون في نشر هذا الكتاب وطباعته ما يخدم تاريخ هذه المدينة الطيّبة، ويزوّد مكتبتها العامرة بالدراسات التاريخيّة الوافرة.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



## المحتويات

المقدمة	١٣
التمهيد	١٩
الموقع والحدود	٢١
الأحوال السياسية	٢٣
الأحوال الأمنية	٤٥
الأحوال الدينية	٥٣
الأحوال الاقتصادية	٦٣
الأحوال الاجتماعية	٧٩

### الفصل الأول

عوامل ازدهار الحياة العلمية في المدينة	٩٧
المبحث الأول: اهتمام الدولة العثمانية وولاتها والأهالي بالتعليم	٩٩
المبحث الثاني: الأسر العلمية	١١٥
المبحث الثالث: رحلات الحج والزيارة وأثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين المدينة والبلدان الإسلامية	١٦١
المبحث الرابع: الوراقة والوراقون	٢٠٩
المبحث الخامس: خزائن الكتب	٢٤٥

الفصل الثاني	٣٠٥
أماكن التعليم في المدينة	
المبحث الأول: الكتابيب	٣٠٧
المبحث الثاني: المدارس الوقفية	٣٤١
المبحث الثالث: المساجد	٤٠٣
المبحث الرابع: مجالس العلم في دور العلماء	٤٤١
المبحث الخامس: الأربطة و التكايا	٤٥٨
الفصل الثالث	٤٨١
نظم التعليم ومسيرته والإنفاق عليه في المدينة	
المبحث الأول: طرق التدريس في حلقات الدرس	٤٨٣
المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الحكومية وتنظيماتها	٥١١
المبحث الثالث: المدرسون والوظائف التعليمية	٥٣٩
المبحث الرابع: الطلاب	٥٦٥
المبحث الخامس: العلوم والمصنفات التي كانت تدرس في المدينة	٥٨٧
المبحث السادس: موارد الإنفاق وطرق الصرف على نظم التعليم	٦٢٣
الفصل الرابع	٦٦١
التأج العلمي لعلماء المدينة	
المبحث الأول: المجاورون وأثرهم في التأج العلمي	٦٦٣
المبحث الثاني: المصنفات العلمية لعلماء المدينة في مختلف العلوم	٦٩٩

المبحث الثالث: أثر علماء المدينة ومصنفاتهم في ازدهار الحركة العلمية في العالم الإسلامي	٧٧٥
الخاتمة	٨٠٣
الملاحق	٨١٣
الفهارس	٨٥٣
المصادر والمراجع	٩٣٧



## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله  
أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم  
الدين، أما بعد:

فالبلدان تتفاوت في الشرف والمكانة، و«المدينة» أعزها الله وأعلاها  
بحلول رسوله الأمين عندما أذن له بالهجرة إليها «الهجرة الكبرى»، وعند  
وصوله ﷺ استقبل بفرح من أهلها، وأشرق عليها نور الإسلام، ومنذ ذلك  
التاريخ تغيرت حال يثرب، وبدأت سلسلة التغيرات فيها وفي حياة سكانها،  
ومن ذلك إلغاء الاسم القديم «يثرب».

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ  
الْقُرَى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكِيرُ خبثَ  
الحديد»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ الله

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي: «صحيح  
البخاري» (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١م، ج ٢، باب: فضل  
المدينة وأنها تنفي الناس، (ص: ٢٢١).

تعالى سَمَّى المدينة طابة»<sup>(١)</sup>، وطيبة، كما في قوله ﷺ: «هذه طيبة. هذه طيبة. هذه طيبة». هذه طيبة»<sup>(٢)</sup> والحبيبة، والشافية، والأمنة، وما كثرة الأسماء<sup>(٣)</sup> إلا دلالة على شرف المسمّى.

وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ المدينة، عُرفت بـ «العصر الذهبي»، أُسِّس بها ﷺ مسجد قباء، كما أسس مسجده الشريف، فكان مكاناً للعبادة إلى جانب كونه مكاناً للتدريس.

وتعد حلقات المسجد النبوي التي كان يعقدها النبي ﷺ لتعليم أصحابه أول المجالس العلمية فيها، وقد ربت هذه الحلقات جيلاً عظيماً من الصحابة الكرام يجمع بين العلم والعمل. وعندما علم النبي ﷺ أن بعض أسرى بدر لديهم بعض المعرفة بالكتابة والقراءة جعل فدية فكّ أسرهم أن يقوموا بتعليم عشرة من صبيان المسلمين<sup>(٤)</sup>.

وفي الوقت نفسه أرسل صحابته الكرام إلى مختلف البلاد المفتوحة ليعلموا الناس كل ما يفيدهم في دينهم ودنياهم<sup>(٥)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي (المطبعة المصرية ومكتبتها)، باب المدينة تنفي خبثها وتسمى طابة وطيبة، (ج ٩، ص: ١٥٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤٥٣/١٨) رقم ٧٥٣٧.

(٣) أوصل السهمودي أسماءها إلى (٩٤) اسماً.

(٤) سيأتي الحديث عنها لاحقاً في مبحث الكتابات في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٥) للاطلاع على بعوث النبي ﷺ. انظر: أبا الحسن علي الحسيني الندوي: «السيرة النبوية»، عني بطبعه ومراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري (صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية

(١٤٠١هـ/١٩٨١م)، (ص: ٤٣٤-٤٣٦).

وفي بداية السنة الحادية عشرة من الهجرة/ ٦٣٢م توفي نبيُّ الأُمَّة ﷺ، وانتهت بوفاته أعظم مرحلة في تاريخ «المدينة» على الإطلاق: مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية الأولى.

وطوال العهد الراشدي استمرَّت المدينة عاصمة مزدهرة للدولة الإسلامية؛ لأنَّ الخلفاء الراشدين ساروا بالتعليم فيها سيرًا حسنًا لإيصاله إلى كلِّ أفراد المجتمع الإسلامي، وكان مبدأ «مجانية التعليم» من أهمِّ معطيات العصر الإسلامي الأوَّل.

وهكذا تسارعت حُطَا المدينة نحو المجد، حتى تسنَّمت قمته، وعلى الرغم من تحول الخلافة إلى دمشق في عهد الأمويين، وبغداد في عهد العباسيين، والقاهرة في عهد المماليك، وإسطنبول في عهد العثمانيين؛ بقيت المدينة تؤدِّي دورها العلمي المتميز حتى في العهد العثماني، حيث حظيت باهتمام السلاطين لكونها مثوى النبي ﷺ وبها أحد المساجد الثلاثة التي يشد لها الرحال، فاستمرَّت مركز إشعاع عربي وإسلامي متميز، لم تنطفِ الشعلة الثقافية فيها، بل بقيت متوقدة تنقل العلم من جيل إلى جيل، وكانت الحركة العلمية فيها تتركز في حلقات المسجد النبوي وفي الكتاتيب والمدارس الوقفية والأربطة والتكايا المنتشرة حوله ودور العلم. ثم أنشأت الحكومة العثمانية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي المدارس الحديثة: من تحضيرية وابتدائية ورشدية وإعدادية، ودارٍ للمعلمين، وشُرع في إنشاء جامعة.

وبقيت أرض الهجرة ودار الإيمان مهوى أفئدة العلماء وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، يقدون للزيارة أو المجاورة، أو

الفوز بفرص التدريس في هذه المدينة المقدسة، ولقاء شيوخ ذاع صيتهم للاستفادة من علمهم والحصول على الإجازات العلمية.

ولعلنا نذكر رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المدينة وتلقيه العلم من أساتذتها: عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ومحمد بن حياة السندي، خلال العقد الأخير من النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي.

كما بقيت على مدار التاريخ مثار أقلام المؤرخين والباحثين، من جميع الأقطار؛ يكتبون عن فضائلها وأمجادها ومعالمها التاريخية الكتب والمصنفات المتعددة، فصنعت إراثاً دينياً وعلمياً متميزاً. وهذه الدراسة إنما وضعت لتتبع قافلة الاهتمام بالدراسات والبحوث عن هذه المدينة.

وجاء الموضوع. كما هو واضح من عنوان الكتاب: «الحياة العلمية في المدينة (١١٤٣ - ١٣٣٧هـ) (١٧٣٠ - ١٩١٩م)». محدوداً بحدود زمنية ومكانية معينة، فحدّه الجغرافي: «مدينة الرسول ﷺ»، وحدّه الزمني: من قبيل منتصف القرن الثاني عشر حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى الربع الأول من القرن العشرين الميلادي.

وتحديد الإطار الزمني يعود إلى أنّ هذه المدة تمثل عهد التجديد في الحياة العلمية والتعليمية عند العثمانيين؛ حيث صدرت فيها عدّة فرمانات سلطانية إلى المسؤولين عن إصلاح نُظم الهيئة التعليمية، وذلك منذ بداية عهد السلطان «محمود الأول» (١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) الذي كان محبباً



للعلم وإنشاء المكتبات، وهي أيضاً قريبة من بداية عهد الدولة السعودية الأولى التي بدأت منذ عام: ١١٥٧هـ؛ حيث شهدت المنطقة نهضة علمية شرعية، وفي طليعة علماء تلك المرحلة: الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» وأبناؤه وأحفاده وتلاميذه؛ الذين أضافوا إلى المكتبة الإسلامية كثيراً من الكتب القيّمة.

ويتهيء البحث بنهاية عام: (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)؛ لأنه يمثل نهاية الحكم العثماني في «المدينة»، وبداية سلطة أمير مكة الشريف «حسين بن علي» بها.

وانطلاقاً من المبدأ الإيماني الذي يوحى به قول النبي ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»؛ وذلك لقدسية المدينة ومكانتها الجميلة في القلوب، إضافة إلى كون التاريخ هو الذاكرة وذاكرتنا الإسلامية تحوي ثروة عظيمة من العلماء والأعلام، ومدينة الرسول ﷺ جديرة بأن يُدَوَّن لعلمائها وأعلامها العظام، وتوضح آثارهم، ويحفظ تاريخهم؛ كان إعداد هذا الكتاب، خصوصاً أن الجانب العلمي في المدينة خلال العهد العثماني لم ينل حقه من الدراسة التاريخية، على الرغم من كثرة ما كتب عن المدينة من كتب ورسائل علمية.

ولكي يكون رصد الحياة العلمية في الحقبة التي يدرسها الكتاب رسداً دقيقاً اعتمد على مصادر ومراجع متنوعة تمثلت في الصكوك والوثائق المنشورة غير المنشورة وكتب التراجم والرحلات وكتب تاريخ المدينة وغيرها.

وأحمد الله تعالى وأثني عليه على ما من به من إتمام هذا الكتاب وإنجازه، ثم اشكر أستاذي الأستاذ الدكتور عبداللطيف بن دهيش، كما أشكر كل من قدم لي خدمة في هذا العمل العلمي.

وختاماً أستحضر قول الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): «أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه»، وحكيم قول إبراهيم الصولي (ت: ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م): «المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من مُنشئه»، والحكمة القائلة: «لو أريد لكتاب الكمال، لما انتهى منه أبداً».

فَإِنْ وُفِّقْتُ بَعْدَ هَذَا فَلِلَّهِ وَحْدَهُ الْحَمْدُ، وَإِنْ قَصَّرْتُ فَمِنْهُ الْعَفْوُ وَالتَّوْفِيقُ يُسْتَمَدُّ، وَلَهُ سُبْحَانَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.